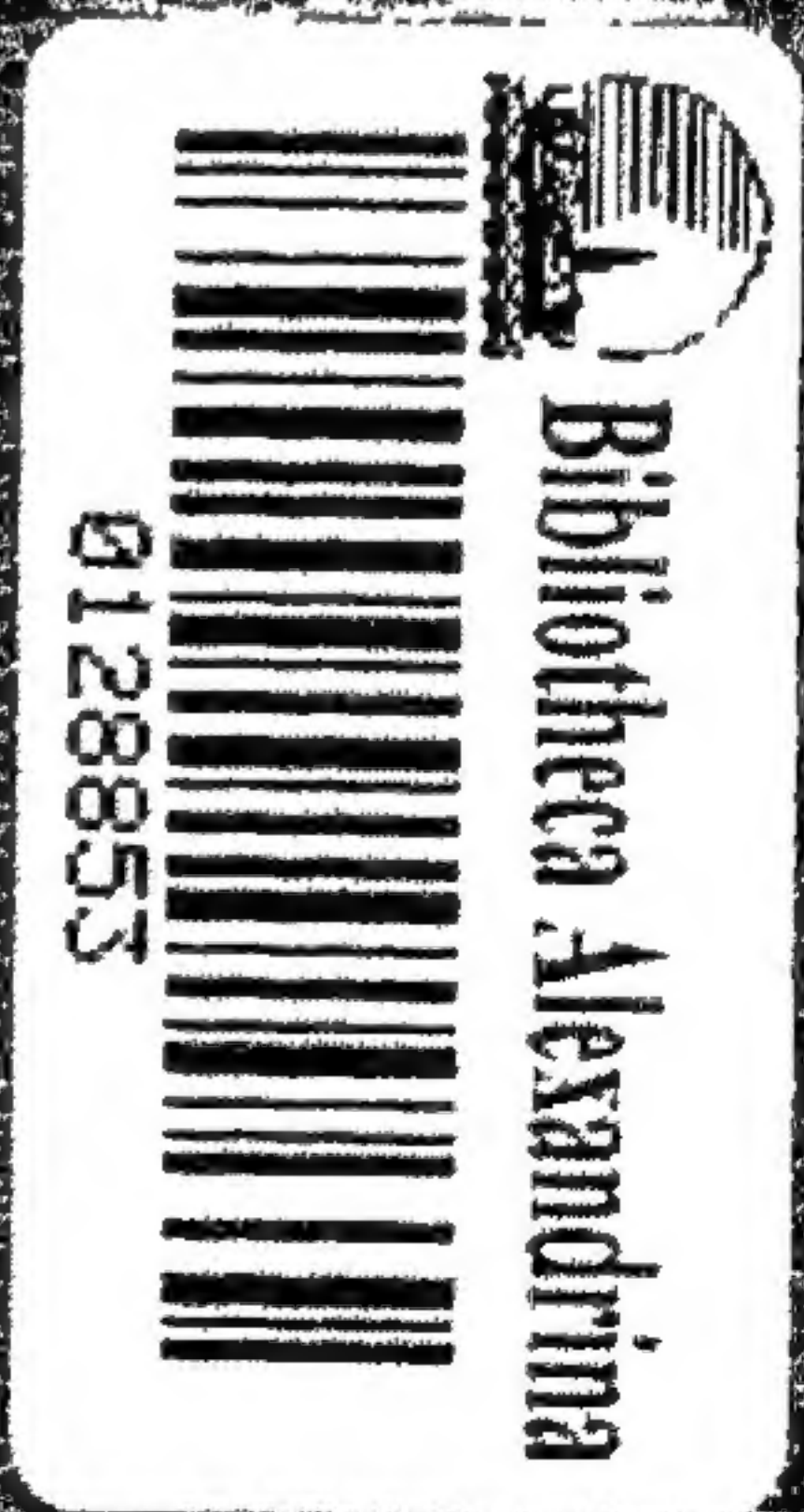


الشرق الأوسط

الإسلام

مكتبة الشرق الأوسط

مكتبة
الإسلام



السيرة في انتشار الإسلام

بقلم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ

محمد أحمد عفيفي

وكيل كلية الشريعة الإسلامية

وعضو اللجنة العلمية لهيئة كبار العلماء

في حماية الدين والدعوة إلى سبيل الله

مطبعة النهضة لتأليف عبد المنعم بن بصر
ملف عرافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

انتشار الإسلام :

لم يشهد الوجود ديناً انتشر بسرعة جاوزت حد
العجب ، وعمّ جزءاً كبيراً من المعمورة ، ودخل الناس فيه
أفواجاً في زمن قليل ، مثل الدين الإسلامي . فقد انبثق
كالفجر يبدو ضئيلاً ثم يستطير حتى يعم الأفق ، ثم يشتد
النور ويقوى حتى يكون نهاراً مشرقاً منيراً ، يكون فيه
للناس غدو ورواح ، ومعاش ومتاع

في السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة ، حمل الله سيدنا محمداً ﷺ أعباء الرسالة ، وبعثه الى الناس كافة ، هادياً وبشيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، فقاومته قريش أولاً ، ولم يستجب له إلا القليل ، فأمره الله بالهجرة الى المدينة ، ومنها ظهر نوره ، فبدد دياجير الشرك ، ومحت آيته آية الكفر .

ولما فتح مكة ، وتركت قريش عنادها ، ودخلت في الاسلام ، دخل الناس في دين الله أفواجا ، وجاءت الوفود من أقصى الجزيرة العربية تباع على الاسلام ، وتدخل في حماه الحصين ، وحرزه الأمين

وما انتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة من هجرته حتى كان الاسلام قد عم الجزيرة العربية ، فأتتهم وأنجد ، ودخل اليمن ، وأشرف على المحيط الهندي جنوباً ، ودخل البحرين ، وأشرف على خليج العجم ومغاص اللؤلؤ شرقاً ، وانتهى الى مشارف الشام شمالاً ، وأطل على بحر القلزم غرباً .

وفي عهد الخلفاء الأوائين امتدّ رواق الإسلام على
المملكتين العظيمتين: مملكة فارس، ومملكة الروم. وامتدّ
ظل الإسلام الى بلاد السند شرقاً ، والى بلاد الخزر
وأرمينية وبلاد الروس شمالاً ، ودخل في عدله بلاد الشام
ومصر ، وبرقة ، وطرابلس ، وبقية أفريقية . وذلك كله في
خمس وثلاثين سنة .

ولم تأت سنة ١٠٢ هجرية في عهد بني أمية حتى
استبحر الإسلام ، وامتدّ الى أن دخل فيه بلاد السند ،
ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصل الى حدود
الصين شرقاً . وامتدّ غرباً الى أن دخل فيه بلاد الأندلس
بأوروبا .

من ذلك نعلم أن الإسلام كان يسير مسير الشمس
في البلاد ؛ ويهب هبوب الريح الطيبة في الأقطار ؛ ويقطع
الأرض كأنه الليل والنهار .

السرف في انتصار الإسلام :

إنها لمعجزة تاريخية حقا ، لم تعهد لملة غير ملة الإسلام .
إننا نعلم أن الناس جدّ حريصين على عقائدهم ، وجدّ
ضنينين بديانتهم : يفرط المرء في ماله وولده ونفسه ، ولا
يفرط في عقائده الموروثة عن الآباء والأجداد ؛ وجدّ نفورين
من الحديث إذا كان يتعلق بالدين والعقيدة . وكان العرب
أشدّ الناس حرصا على عقائدها وأخلاقها وعاداتها ؛ وأعظم
الناس نفورا من أن تخضع لرئيس أو نظام . فما هو السر
الذي جعل الناس تسخو بعقائدها الموروثة ، وتفتح لذلك
الدين الحديث عقولها وقلوبها ، يغزو الضمائر والعقول ،
فيطرد تلك العقائد القديمة ، ويحل محلها ، ويستحوذ على
العقول والفطر ، ويملك عليها أمرها ، ويتصرف بها كيف
شاء ، ومتى شاء ؟

السرف في أمرين : في الإسلام نفسه ، وفي الداعي إليه

وأصحابه وخلفائه من بعده . أما الإسلام فقد حمل عناصر الحق ، والخير ، والقوة ، والجمال المعنوي

الحق في الإسلام وتأثيره :

جاء الإسلام بالحق في العقائد ، وأقام الحجج والأدلة عليه بما يتفق هو والفطرة البشرية . والحق إذا قامت الأدلة عليه وظهر ، انقادت له العقول ، وكانت له السيطرة على النفوس ، وتصرفت في الضمائر ، وتحكمت في السرائر ، ولم يملك له المرء دفعا ، وكان كلما حاول الخلاص منه ، ملك عليه أمره

جاء الإسلام بإثبات إله للعالم ، خالق للكون ، قادر عالم ، مريد ، وأثبت ذلك بآثاره الظاهرة في الكون ، وصنعتة المحكمة البديعة

وأحاطهم على مراكز في عقولهم من أن كل صنعة محكمة مرتبة ظهر منها القصد إلى غاية ، ووضعت أجزاءها ، ورتبت لتؤدي هذه الغاية ، لا بد لها من صانع ، ولم توجد نفسها ،

ولم تكن عن المصادفة . فكما يحيل المرء أن ساعة ذات أجزاء كثيرة وضعت ليحرك أحد أجزائها الآخر، وهكذا حتى يتحرك فيها ما يدل على الساعات والدقائق — وجدت من نفسها أو أوجدتها المصادفة العمياء ، كذلك يحيل أن هذا الكون الذي كانت شمسهِ للإِنارة ، وأرضهِ للقرار عليها ، ومأوهِ لإِخراج النبات وسقى الحيوان ، وكل شيء فيه فلسفياً أريد منه وغاية يؤديها — وجد بدون موجد

(اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ اَوْتَادًا .
وَخَلَقْنَاكُمْ اَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا . وَجَعَلْنَا
الَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ
سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَانْزَلْنَا مِنْ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ
اَلْفَافًا) ؟

أقام الأُدلة على أن ما يعبدون من دون الله من الأصنام

والأوثان لا تستحق العبادة، وأنها مربية لا أرباب، وأنها عبيد مسخرة لله الذي خلقها. وأبان لهم أنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم ولا عن نفسها شيئاً، وأنها ضعيفة مستذلة عاجزة، فكيف يضعونها هذا الموضع من التقديس والإجلال والعبادة !

(أَإِشْرَكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ . وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَكُمْ أَدْعَوْنَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ . إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَّا يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

ذكرهم بعبء التاريخ ، وبأن إبراهيم عليه السلام كسر
الأصنام التي كان يعبدها قومه ، فلم تدفع عن نفسها
(فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تُأْكُلُونَ مَا لَكُمْ
لَا تَنْطِقُونَ! فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ . فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ
يَزْفُونَ . قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ) ؟

ثم أقام لهم النبي ﷺ الحجة عملاً : فحطم الأصنام
أمامهم ، وأذلها ورمى بها في الرغام - قال ابن عباس : دخل
رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلة ، فطاف عليها
وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ

يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فما أشار إلى صنم فيها في وجهه إلا وقع إقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع . فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنام معتبر وعلم

لمن يرجو الثواب أو العقاب

رأت قريش أصنامها تهوى من عليائها ، وآلهتها
يحطمها محمد ويرمى بها في الرغام ، فعلمت أن ما يقوله القرآن
فيها حق ، وأنها لو كانت تغنى شيئا لأغنت عن نفسها . وشاع
ذلك في الجزيرة العربية ، فنبذت عبادة الأصنام ، وتخلصت
من هذه المعبودات الظالمة المستبدة ، وحرر جزء عظيم من
البشر من هذا الوهم الذي ملكهم ماشاء الله من السنين ،
وتطهرت الإنسانية من هذه الوصمة : وصمة الخضوع
للأحجار الصماء ، وللحيوانات الدنيئة

ولقد كان من العار على الجنس البشرى أن يخضع
وهو أشرف مخلوق على الأرض - لهذه الحيوانات الذليلة
وهذه الأحجار الصامتة .

طهرهم الإسلام من دنس الشرك ، وصرف وجوههم
عن الأرض الى السماء ، وجمعهم على معبود واحد هو قيوم
السموات والأرض ، وتلك نعمة للإسلام على الإنسانية
جمعا .

جاء الإسلام بإثبات البعث والمعاد والجزاء في اليوم
الآخر ، ووضّحه بالأدلة حتى جعله لا يحتمل ريباً ولا شكاً ،
وأزال تلك الشبهة التي علقّت بعقولهم ، وهي : إذا كانت
الأموات عظاماً ورفاتاً متفرقة فمن يجمعها بعد التفرق
ويحييها بعد البلى ؟ إن ذلك لرجع بعيداً فأعلمهم أن من قدر
على البدء قادر على الإعادة

(أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا

هُوَ تَخَصُّصٌ مُبِينٌ . وَضَرْبٌ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ
 قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي
 أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ
 تُوقِدُونَ . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ
 الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ
 شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ
 أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

أثبت إلهها للعالم ، وأثبت يوما يجازي فيه المحسن
 بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فوضع أنس الأخلق ، وأقام

محكمة في ضمير كل مؤمن يكون فيها المرء قاضيا ومتهما
ومدعيا ، لا يهتم بفعل سيئة إلا رأى عين الله ترقبه ، ولا
يفعلها حتى يقرع السن من ندم ، ويبلى بتأنيب الضمير
هذا وأمثاله ، من الحق الذي جاء به الإسلام ، ولم
نستوعبه لأن سبيلنا أن نمثل ولا نستقصى . وكأه كما رأيت
وضوح حجة ، وقوة برهان . وهو في الوضوح والجلال كالنهار
المبصر ، والشمس ليس دونها سحاب . فلم يجد الناس من
التصديق به بدءًا ، واضطر أشد المعاندين والمكابرين إلى
الإيمان به والدخول فيه .

الخبر في الاسم وتأثيره في انتشاره :

وجاء بالخبر ، فأمر بصلة الرحم ، وبالعفاف والمحبة ،
والسلام والعندل ، والإيثار والمساواة ، والصدق والوفاء
بالعهد ، والصلاة والصدقة . والخيرُ يجد سبيله إلى النفوس
فينساب فيها ، كما تنساب المياه في مجاريها ، لا يحجزه حاجز
ولا يقوم دونه شيء .

ونحن نتلو على القارىء بعض وصايا الاسلام ، ليعلم
مبلغها من السمو والخير — قال الله تعالى :

(وَقَفَىٰ رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا
فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا. وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ
غَفُورًا. وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَلَا تُبْذِرْ تَبَذُّرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا. وَإِمَّا تَعْرِضْ
عَنَّهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مُنِيسُورًا. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهُمَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْدُورًا. إِنَّ رَبَّكَ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا. وَلَا
تَقْرَبُوا الزَّوْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا. وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قَتَلَ
مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفَ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ
إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُ
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ

مَكْرُوهًا. ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ،
وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا
مَدْحُورًا)

كل ما دعا اليه الإسلام حسن ، وكل ما أمر به خير
وجميل . دعا الى الحلم والأناة وكظم الغيظ - قال الله تعالى :
(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ .
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)
نهى عن استهزاء المرء بأخيه ، والتنازع بالألقاب ،
وأخذ الناس بالظنة ؛ وعن الغيبة والنميمة ، والخوض في
أعراض المحصنين والمحصنات

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ
يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَمْرُؤًا أَنْفُسُكُمْ ، وَلَا

- تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم
بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ
- ٢ — إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ
آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
- ٣ — إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
- ٤ — وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ فَأُولَئِكَ جُلْدُهُمْ مِّمَّا زَيَّنَّ جُلْدَهُ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

الجمال المعنوي في الـلام :

وأما الجمال المعنوي ، فقد أودع الله هذا الحق وهذا
الخير في القرآن الكريم، وهو حلو اللفظ، رائع الأسلوب
موفق معجب

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائحات المعاني
ألفاظ كأنها قطع الرياض كسين زهرا، ومعان كأنها
أنفاس الأزهار حملن شذاً وعطرا. معان تتمع بين ألفاظها
كأنها النجوم، وسر من أسرار الله حارت فيه الفطن
والحلوم

ظهر هذا الحق والخير جميلين، موفقين رائعين، بما في
القرآن من بلاغة، فرائعهم جماله — وللجمال روعة — وأعظم
ما يكون روعة في الحق واليقين، والخير والبر

ظنوه سحرا ، لأنهم رأوا براهينه تغزوهم كأنها
الجيوش الظافرة، وتهدر كأنها البحار الزاخرة، فلا تزال

تغزو عقولهم حتى تهزم عقائدهم الموروثة ، وتطرد أوهامهم
المعششة

يغلقون أمامها كل باب ، فيجعلون في آذانهم وقرا ، وعلى
قلوبهم أكنة ، ويبنهم وبينها حجابا ، فما يروءهم إلا أنها
تسرى في عروقهم سرى الماء في العود ، وتتغلغل في ضمائرهم
تغلغل الفجر المنير في ظلام الليل البهيم ، فتحول بين المرء
وقلبه ، وتفرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين
المرء وأهله وقومه .

لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) الآية ، قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه
لطلاوة ، وإن أسفل له لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول
هذا بشرا ! »

كانوا يتعاقدون ألا يسمعوا لهذا القرآن ، ويبيتون
ذلك ، فإذا جاء ميعاد استماع القرآن انحلت عقدهم الوثيقة ،
وعزائمهم المحكمة ، وذهبوا إلى الرسول ﷺ يستمعون القرآن

القوة في تعاليم الإسلام :

وأما عنصر القوة ، فقد أمدَّ الإسلامُ عصبية الحق والخير بكل المبادئ ، التي تقدم الأمم وتنميها ، وتعطيها السلطان والسيطرة والنفوذ .

علم أن من الأمم أمماً تكون في اجتماعها كجسم حي يعمل كل عضومنه لمنفعة بقية الأعضاء ، وتسرى فيها روح وحياة ، وأنها تكون كذلك إذا اتحدت في الدين والمشاعر والتصورات والغايات ، وأحسَّت روح التعاضد والمحبة ، وعلم كل فرد فيها أن بقاءه وسعادته ببقاء المجموع وسعادته ، وأن هلاك المجموع وشقاءه هلاكه وشقاءه ، فجمعهم على الحق والخير ، ووحد مشاربهم وأغراضهم بوحدة الإسلام ، وألَّف بينهم في الله ، وأزال من بينهم العداوة والبغضاء ، فكانت الأمة الإسلامية جسماً حياً ، وجميع المسامين أعضاء فيه ، وكان الإسلام هو روح ذلك الجسم الذي يثبت فيه الحياة ،

وبه نموه وبقاؤه . وقد ذكرهم بهذه النعمة العظيمة التي هي
سر قوة الإسلام :

قال الله تعالى : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) وقال :
(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ
الَّذِي أَيَّدَكَ بِنِعْمَتِهِ وَإِبْلَاءُ مَنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

حث المسلمين على الاتحاد والتعاطف، والتواد والمحبة

والوئام

روى البخارى عن النعمان بن بشير يقول: قال رسول الله ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)

وقال ﷺ أيضاً: (المؤمن المؤمن كالبنديان يشد بعضه بعضاً) ، وقال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فجعلهم بذلك أمة واحدة لا يريد لها أحد بسوء إلا خذل ، وكانوا كالجبل الأشم لا تنال منه الحوادث ، ولا ترعزعه العواصف .

وعلم الإسلام أن الأمم قد تصاب بأمراض اجتماعية تجعلها في اجتماعها كأقراض ملقاة: إن اجتمعت فأقراض ، وإن تفرقت فأقراض ، ليس بينها وحدة ، ولا تماسك ولا قوة ، وليس يفيدها الاجتماع خيراً ، ولا تريد باجتماعها على انفرادها ، وأنها تكون كذلك إذا ضعفت رابطتها ، وانحل ذلك الروح الذى كان يبعث فى الأمة القوة والحياة ، وبليت

بالحسد والبغضاء ، وحب الدينار والدرهم ، والتهالك على الدنيا ،
فحذر من هذه الأمراض الاجتماعية المفسدة للاجتماع ،
والمقوضة للأمة ، فأمر بالمحافظة على روح الأمة (الدين)
واشتد في ذلك شدة لم تكن في غيره : (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ)

(وَمَنْ يَدْتَمِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

قال رسول الله ﷺ : (دُبَّ اليكم داء الأُمم من قبلكم :
الحسد ، والبغضاء) وقال : (الدينار والدرهم أهلكا من
قبلكم وإنهما مهلكاكم)

وقال : (يوشك أن تداعى عليكم الأُمم كما تداعى
الأَكَاة الى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟
قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،

وليتزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)

هذه هي الدعوة الإسلامية ، وإن دعوة تجمع الحق والخير والقوة والجمال المعنوي ، لها دعوة محقق لها الفوز والنجاح ، وأن تصل الى أعماق القلوب ، ويستجيب لها ما شاء الله من ممالك الأرض

صاحب الدعوة الإسلامية وأثره في انتشار الإسلام :

وأما صاحب الدعوة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ ، فقد كان فيه من الخلال ما جعله ملء العيون والقلوب ، وجعل له النفوذ والسلطان على كل من يلقاه - كان لما كان عليه هو من خلق عظيم أحب اليهم من أموالهم ، وأولادهم ونفوسهم .

جميع العفة والشجاعة ، والإقدام والأمانة ، وصدق

الاهبة ، والرحمة والمحبة ، وكانت لا يعمل لنفسه ، وإنما
يعمل للناس ، ولم يكن همه سعادة نفسه ، وإنما همه سعادة
الجميع . يصفه الله بقوله : (وَإِنَّكَ لَمَلِكٌ خَلَقَ عَظِيمٌ)
ويقول : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَائِظًا لَفُظَ الْقَلْبُ لَا نَفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ)

كان مخلصاً لدعوته ، موقناً بها ، فانياً فيها ، لا يريد
بها الدنيا بخذا فيرها - جاءت قريش الى عمه أبي طالب ،
وقالوا له : إنا نعطي محمداً ما يشاء من مال ونعم ، ويكف عن
ذكر آلهتنا ، فكلمه عمه في ذلك ، فبكى ، وقال : (يا عم ، والله
لو جعلوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك
هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) !

كان شديد العزم فلا يهين ، قوى الإرادة فلا يضعف ؛
تقوم أمامه الصعاب كالجبال ، فيجعلها كتيباً أهيل .
كان يرى ، فيعزم ، فيمضي . فلو أن الطبيعة بما فيها

حاوات أن تثنيه لم تثنه ؛ ولو أن الدنيا ملئت عقبات وصعاباً ،
لما بالى بها ، ولا أخذ في تذليلها

رأوه لا يطلب انفسه ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً ، بل
رأوه يبذل راحته ونفسه وماله لإسعاد البشر (قل
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ
رَبِّهِ سَبِيلًا) (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) !
(أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ
الْزَاقِينَ . وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (قل
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) (قل
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ . إِنَّ
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَسْتَ لَهُمْ نَبِيًّا هُ بَعْدَ حِينٍ)

كان يحزن لشقاء البشر واضلالتهم ، ويكره به أن يراهم
كألاً نعام السائمة : يظلم بعضهم بعضاً ، ويعدو بعضهم على
بعض ، وأن يغشوا ويغدروا ويفحشوا ، ويسيروا في تلك

الطريق التي فيها هلاك الدنيا والآخرة : (لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)
وقد علم الله ما به ، فروح عنه ، وهو ن عليه ، وقال له :
(فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) (يَأَيُّهَا الرَّسُولُ
لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا
آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ يُؤْمِنُوا قُلُوبُهُمْ) (فَلَمَّا كَانَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ
عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْأُحْدِيثِ أَسَفًا)
(طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . لَمَّا كَانَ بَاخِعٌ
نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى
هَذَا هُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)
رأوه صادقاً أميناً في الحديث ، لم يأتروا عليه كذبة ،

فعلّموا أنه ما كان أيدع الكذب على الناس ويكذب على الله
كان ﷺ عظيم الحلم، كثير الاحتمال، يصبر على الأذى،
ويعفو عند المقدرة

١ — روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول
الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن
إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه؛ وما انتقم رسول
الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها
٢ — روى أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم
أحد، شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت
عليهم! فقال: (إني لم أبعث لعانا، ولكني بعثت داعياً
ورحمة، اللهم اهْد قومي فإنهم لا يعلمون)

٣ — عن أنس رضي الله عنه: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد
غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل
لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فانك لا

تحمّل لي من مالك ولا مال أهلك ! فسكت النبي ﷺ ثم قال : المال مال الله وأنا عبده، ثم قال : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟ قال : لا . قال : لم؟ قال : لأنك لا تكافيء بالسيئة السيئة، فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر بُر

٤ — روى مسلم أن رسول الله ﷺ كان في حرب، فاستظل تحت شجرة بعيداً عن أصحابه، وقد علق سيفه بتلك الشجرة، فجاء رجل مشرك فأخذ سيف رسول الله المعلق ووقف على رأسه وفي يده السيف، ثم قال للنبي : ما يمنعك مني؟ فقال : الله عز وجل يمنعني منك . فدهش الرجل في نفسه وسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله السيف من الأرض وقال : من يمنعك الآن؟ فقال الرجل : كن خير آخذ، قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله، فقال : لا، غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء إلى قومه

فقال : جئتم من عند خير الناس

٥ — آذت قريش النبي ﷺ لما دعاهم إلى الإسلام ، وآذوا

من آمن معه ، وقاسى منهم الشدائد ، واصطبر على المصائب

فأدال الله له منهم ، وحكم فيهم ، وفتح عليه بلادهم مكة

فلم تشك قريش أنه سيستأصل شأفتهم ، ويبيد خضراءهم

فقال : ما تقولون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم

وابن أخ كريم ، فقال : أقول كما قال أخى يوسف : لا تريب

عليكم اليوم يغفر الله وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا

فأنتم الطلقاء

وكان جواباً كريماً : يسخو بالكثير ، ولا يسأل إلا

أعطى — قال ابن عباس رضى الله عنه : كان النبي ﷺ أجود

الناس بالخير ، وأجود ما يكون فى شهر رمضان ، وكان إذا لقيه

جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة

١ — عن أنس أن رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع

إلى بلده ، وقال : أساموا فإن محمداً يعطى عطاء من
لا يخشى فاقة

٢ - أعطى غير واحد مائة من الإبل ، وأعطى صفوان مائة
ثم مائة ثم مائة

٣ - ردّ على هوازن سبأياها ، وكانت ستة آلاف

٤ - حمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام
إليها فقسمها ، فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها

ولم يكن كريماً بعد البعثة فقط ، بل كان كريماً جواداً
قبلها أيضاً . وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ :
أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل
الكّل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على
نوائب الحق

وكان شجاعاً بأسلاً ، قويا لا يرهب ، مقداماً لا يدبر - فرت
الناس عن رسول الله يوم حنين ورسول الله ﷺ لم يضر ، بل
بقي راكباً على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ

بلجامها، والنبي يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.
فما رنى يومئذ أحد كان أشد منه - قال علي رضي الله عنه: إنا
كنا إذا حمى البأس، واحمرت الحديق، اتقينا برسول الله ﷺ
فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي وهو أقرب بنا إلى العدو، وكان من أشد الناس
يومئذ بأساً

وكان أشد الناس حياءً، وأكثرهم إغضاءً، وكان من
حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد. وكان يكنى عما اضطره
الكلام إليه مما يكره - قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:
كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان
إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه

ولقد كان على الجملة أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس
لهجةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشيرةً. يؤلف الناس
ولا ينفركم، ويكرم كرم كل قوم ويوايه عليهم، ويتفقد كل
أصحابه، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيبه. من جالسه

أوقار به لحاجة ، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سألته
حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول . قد وسع الناس
بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء .
وكان دائم البشر سهل الخلق ، أين الجانب ، ليس بفظ ، ولا
غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عياب ، ولا مداح
بهذا وصفه أصحابه وأعرف الناس به :

١ - عن عائشة رضي الله عنها : ما كان أحد أحسن خلقاً
من رسول الله - مادعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته
إلا قال : لبيك

٢ - عن أبي قتادة : وفد وفد للنجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم
فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : إنهم كانوا لأصحابنا
مكرمين ، وإني أحب أن أكون كافئهم

٣ - قال ابن الطفيل : رأيت النبي ﷺ وأنا غلام ، إذ أقبلت
امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه
فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته

هذا إلى ما خصه الله به من الآيات البينات، والمعجزات
الباهرات

كل ما ذكرناه من الخلال، وما لم نذكره من الفضائل
النفسية، التي تحلى بها صاحب الرسالة الإسلامية ﷺ إلى
ما أيد به ﷺ من الآيات الناطقة، والمعجزات القاطعة،
جعله ذا سلطان على النفوس، وذا نفوذ على القلوب، لا
يرد له قول، ولا يعصى له أمر. وكان أصحابه معه كما قال له
سعد بن عباد: والله لو خضت بنا البحر لخضناه معك.

كانت هذه أخلاقه، وكان هذا سلطانه على القلوب؛
ثم جاءهم بدين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ذلك الدين
الذي يسير فطر الناس، وكأنه مركوز في الطبيعة الإنسانية
لا تأبى عليه الفطر السليمة، ولا تنبو عنه. فلا غرو أن
يكون الإسلام أسرع إلى نفوس القوم من السيل إلى
منحدره، وأن يمتزج بنفوسهم، ويلتصق بعقولهم،
ويتصرف بهم فلا يجدوا عنه حولا. ولا غرو أن ينتشر

بسرعة لم يعهد مثلهما في التاريخ .

يلاحظ المؤرخ أن الإسلام كان وانياً بمكة : يمشى
رويدا ، وأنه لم يعظم انتشاره ونقدمه إلا بعد هجرته ﷺ من
مكة إلى المدينة ، وبعد فتح مكة ودخول قريش في الإسلام .
ومرجع هذا البطء بمكة إلى ما كان في قريش من عناد
 وإصرار ، لأنهم كانوا يخافون على زعامتهم الدينية ، ومنافعهم
الدينية ، فلقد كانت الكعبة التي يعظمها العرب ببلدهم
مكة ، وكانت أصنامهم التي يدينون لها بالتعظيم منصوبة
حول الكعبة وفوقها ، وكانوا يحجون إلى الكعبة في كل
عام ، فتعظم تجارة قريش ، وتروج أسواقهم ، وكانوا يخافون
بدخولهم في الإسلام أن تذهب كل هذه المزايا
والمنافع ، بل كانوا يخافون على أنفسهم الهلاك (وَقَالُوا
إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مِمَّا مَلَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا)

وكان بين بني هاشم وبين بطون قريش منافسة ومنازعة
للشرف والسؤدد ، وخافت قريش — إن أقروا لبني

هاشم بالنبوة — أن يذهبوا بالمفاخر كلها
أخرج ابن هشام عن ابن شهاب الزهري أن أبا سفيان
ابن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق خرجوا
ليلة يستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في
بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان
صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم
الطريق، فقتلوا وموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رأيكم
بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل
منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر
تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا
أول مرة

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل
منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا،
فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد

لا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة! والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها! قال الأخنس: وأنا والذي حلفت! قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أياجهل فدخل عليه بيته، قال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تمحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمضى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقها! قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

دفعهم كل ذلك إلى العناد والجحود، والإصرار عليهما، والوقوف في سبيل الدعوة، وفتنة المسامين بكل أنواع

العذاب، فأذن الله للمسلمين أن يقاتلوا أهل مكة دفاعاً عن أنفسهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ودفاعاً عن الدعوة التي وقفوا في سبيلها، وصعدوا الناس عنها

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيِسْعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

وكانت العرب تنتظر ما يكون بين محمد وأهله، فلما دخل أهله في دينه، وزال ذلك المانع، وجد الحق الفطري سبيله إلى النفوس، ودخل الناس فيه أفواجا

إن الذين يزعمون أن الإسلام قامت دعوته على السيف لا يستقيم لهم هذا الزعم إلا إذا فرضوا أن محمداً نشأ

ملكاً له العساكر والجنود، والرايات والبنود، والعدد والعدة،
والقوة والمنعة، وأنه حمل الناس بما يملك من جيش وقوة
على الدخول في الإسلام

ومن أين يستقيم لهم هذا الفرض والتاريخ يحدث أن
محمدًا ﷺ نشأ يتيماً، وبعث إلى الناس وحيداً فريداً: الناس
كلهم فريق، وهو وحده فريق، لا قوة، ولا سلطان،
ولا ملك، ولا أعوان، وليس بيده من قوة إلا قوة الحق
والخير، وما فيهما من جمال — وأعظم بها من قوة! — أين منها
قوة الرجال والأعوان، والسلاح، وجميع قوى الأرض
المادية؟ فأخذ يدعو قريشاً إلى الإسلام، ويعرض نفسه
على القبائل، وكان يعتمد على الإقناع والحجة

وكان إذا دخل المرء في الإسلام واقتنع بحججه وبياناته،
لم تقدر قوة في الوجود على إخراجه منه: يبتلى في ماله وأهله
ونفسه ووطنه لأجل الإسلام، ويأبى أن يبغى عنه بديلاً
أسلم عمار بن ياسر وأمه وأهل بيته، فعذبوا في الله، وكان

رسول الله ﷺ إذا مرّ بهم يقول : صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة . وأسلم بلال بن رباح ، فعذبتة قريش أشد العذاب ، فهان على قومه وهانت عليه نفسه في الله ، وكان كلما اشتد عليه المذاب يقول : أحد ، أحد ، فيمر به ورقة بن نوفل فيقول : أي والله يا بلال : أحد أحد ، أما والله لو قتلتموه لأتخذنه حنانا !

ومرّ أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب هي وزوجها وابنها ، فطعنها بحربة في موضع العفة حتى قتلها ! كانوا يباون بأنواع الفتنة والعذاب والاضطهاد ، حتى اضطر بعضهم الى أن يهاجر إلى الحبشة فراراً بدينه . أين السيف في هذا ! هل تجد إلحقا وإقناعا ؟ لقد كانت القوة تعمل في العكس : فكانوا يضطهدون على الخروج من الإسلام لا على الدخول فيه .

ثم جاء نفر من المدينة فأقنعهم النبي ﷺ بالإسلام ، فدخلوا فيه ودعوا قومهم اليه : الأوس والخزرج ،

فاستجابوا اليهم ، ثم هاجر النبي ﷺ إليهم المدينة ، فأووه
ونصروه ، وخلصوا المسامين الذين هاجروا اليهم من
اضطهاد أهل مكة وعسفهم وجورهم .

أفترى في كل ذلك سيفاً وإكراها ، أم ترى الاقتناع
كل الاقتناع ، والاختيار كل الاختيار ؟

إذا كان قد هالهم انتشار الإسلام وسيروته في
الآفاق في زمن يسير ، ورأوا أن ذلك لا يكون إلا من فعل
القوة المادية والإكراه ، والسيف ، فليعلموا أن الاقتناع
واليقين أقوى أثراً وأعمق غوراً ؛ وأن اليقين لا يقوم
أمامه شيء ، حتى القلاع الشائخة ، والأطواد الباذخة
أما القوة المادية وحدها ، فأثرها التخريب لا التعمير
والهدم لا البناء ، ثم لا يلبث أن يزول

تعرف هرقل ملك الروم حقيقة الاسلام ومبادئه

وافتناء به وتوقعه انتشاره :

وقد ألمّ هرقل ملك الروم بكثير من هذه المعاني التي تقدمت ، وتعرف من أبي سفيان - أيام كان أبو سفيان مشركا على دين الجاهلية - طبيعة الدعوة الإسلامية ، وطبيعة الداعي إليها ، وطبيعة الداخلين فيها ، ثم توقع ظهوره ، وأنه يملك ما تحت قدميه . ونحن نسوق هذا الحديث لجدواه وعظيم فائده في هذا الموضوع :

روى البخارى في صحيحه : عن ابن عباس رضى الله عنه أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش كانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مآذ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأأتوه . وهم بإيلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم فدعوا بالترجمان ، فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا

الرجل ، الذى يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم . فقال : أدنوه منى ، وقرّبوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبنى فكذبوه . فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا على كذبا الكذبت عنه

ثم كان أول ما سألتى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ قلت : ضعفاءهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ، بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل اتهمونه بالكذب ، قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها (ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة) قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم .

قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه
سجال : ينال منا ، وتنال منه . قال : فما يأمركم ؟ قلت : يقول :
اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما كان
يعبد آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .
فقال للترجمان : قل له : إني سألتك عن نسبه ، فذكرت
أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .
وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ، فذكرت
أن لا . فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت :
رجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك : هل كان في آباءه
من ملك ، فذكرت أن لا . فقلت : لو كان من آباءه من
ملك ، قلت : رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك : هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا .
فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب
على الله . وسألتك : أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ،
فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك :

أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر ، فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك : بما يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، وبينها كم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه فاذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم — سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،

أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن
عليك إثم اليريسين (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا نُشْرِكَ
بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

قال : قال أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من
قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات ،
وأخرجنا . فقلت لأصحابي : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ،
إنه يخافه ملك بنى الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر ، حتى
أدخل الله على الإسلام . اهـ

فأنت تراه قد تعرف الدعوة الإسلامية ، فعلم أنه يدعو
إلى الصلاة والصدقة وصلة الرحم وعدم الشرك بالله ، فعلم أنها
حق وخير وقوة . وتعرف الداعي ، فعلم أنه لا يكذب ، ولا
يغدر ، ولا يخون ، ولا يطلب لنفسه ملكاً ، ولا مالا ولا جاهاً ،

فعلم أنه صادق غير كاذب ، وأنه من أولئك الرسل الذين يرسلهم الله خير إلا إنسانية. وتعرف نفوس من يدخلون في الإسلام ، فإذا هم يملؤهم يقينه ، ويبهروهم سلطانه ، وتخالط بشاشته قلوبهم ، فلا يرتد أحد سخطاً لدينه ، بل كان يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف به في النار

فعلم أن الحق والخير إذا صاراً يقيناً وعقيدة كانا قوة. لا يقوم لها شيء ، وسيملك أصحاب هذا اليقين المؤمنون به المطمئنون إليه ما يشاءون من بقاع الأرض ، ولا يأبى عليهم ملكه الحصين ، ودولته العظيمة القوية

أثر الخلفاء والصحاب في انتشار الإسلام :

وأما أصحابه وخلفاؤه من بعده ، فقد كان لهم الأثر العظيم ، في نشر الإسلام ، فيما وراء جزيرة العرب ، لأن الإسلام رباهم تربية خلقية ، وثقفهم تثقيفاً دينياً ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، والظلم والعدوان ، وحبب

إليهم الخير والإيمان ، والعدل ، والانتصاف من الظالم
للمظلوم ، وأعلن لهم أنهم هداة البشر ، وأن عليهم أن يسعوا في
صلاح الدنيا ، وأن يعملوا على أن يملئوها عدلاً ، كما ملئت
ظلماً وجوراً (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ
بِالْعَمْرِوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ، لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فطفقوا
يدعون الى الإسلام . وكانوا دعاة بسيرتهم ، وأخلاقهم ،
وعملهم قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم .

أخرج ابن عبد الحكم عن أنس ، قال : أتى رجل من
أهل مصر الى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
عائذ بك من الظلم ! قال : عدت بمعاذ . قال : سأقت ابن
عمر وبن العاص فسبقتهم ، فجعل يضربني بالسوط ، ويقول :
أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم

عليه ، ويقدم بأبنه معه ، فقدم ، فقال عمر : أين المصري ؟
خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر :
اضرب ابن الأكرمين ! ثم قل للمصري : ضعه على صلبة
عمرو ، قال : يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني ، وقد
اشتفيت منه ، فقال عمر لعمرو : منذ كم تعبدتم الناس ، وقد
ولدتهم أمهاتهم أحراراً ! قال : يا أمير المؤمنين ، لم أعلم
ولم يأتني .

فهذا العدل في الرعية ، وبهذه المساواة بين الناس .
حبب إلى الناس الدخول في الإسلام ، أو الدخول تحت
حكم أئمة الإسلام .

ومن من الناس يسمع أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
ساوى بين ابن عمرو بن العاص أمير مصر ، وبين أحد الرعايا
فيها ، واقتص منه ، ولا يودّ الدخول في حكم الإسلام ، أو
في الإسلام ، ليتمتع بهذه الحقوق المدنية ، التي لا يجدها في
قانون غير الإسلام ، ولا في ملوك غير ملوك الإسلام ؟

وكان ذلك فيهم من أثر القرآن ، وتربية الرسول -

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)
(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا)
(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) وقال رسول الله ﷺ : (ألا كلكم

راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس
راع عليهم ، وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل
بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها
وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده ،
وهو مسئول عنه ، وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته).

وحبَّب الإسلام إليهم الرفق بالرعية والرحمة (فَبِمَا
رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا
الْقَلْبِ لَآتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) وروى عن عائشة رضي الله

عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في يتي هذا :
(اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ،
ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فرفق به)

ربّاهم بالإسلام على الحلم والأناة ، والصفح والعفو ،
والكرم والسخاء

روى أنه حصلت في زمن أبي بكر مجاعة ، وكان
سيدنا عثمان رجلا غنيا ، جاءه ألف راحلة من الشام ، تحمل
قمحا وزيبا وطعاما وزيتا ، فجاء اليه تجار المدينة ، وقالوا له :
تريد شراء ما عندك ، فقال لهم : كم تربحونني ؟ فقالوا :
الدرهم بدرهمين . قال : قد أعطيت زيادة . قالوا : أربعة .
قال : قد أعطيت زيادة . قالوا : خمسة . قال : قد زادوني .
فقال التجار : ليس في المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا اليك
أخذ ، فمن ذا الذي أعطاك ؟ قال : إن الله أعطاني لكل
درهم عشرة ، فهل عندكم زيادة ؟ قالوا : لا . قال : فأشهدكم

معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة . وتصدق
بالأحمال جميعها

فبذلك ومثله دخل الناس في دين الله أفواجا . وزين
الله في قلوبهم الإيمان . وكره إليهم الكفر والفسوق
والعصيان . أولئك هم الراشدون

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيَزِيدَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ)

